دفتر «أبو سلك»

وجدان أبو سالم

رن جرس الهاتف، رفعت السماعة؛ لأعرف من المتصل، وماذا يريد؟ سمعت صوتاً يقول: "مرحباً أنا مديرة مدرسة عابود الأساسية المختلطة، أريد أن أتكلم مع السيدة وجدان أبو سالم، فقلت لها: أنا وجدان، نعم، ماذا تريدين؟ فقالت: "أنت تقدمت لنا بطلب وظيفة قبل سنتين، ولم يكن لدينا شاغر، أما الآن فلدينا شاغر، ونريد مقابلتك فشكرتها وأغلقت السماعة. ولم تكن الدنيا تسعني من الفرحة، لقد حصلت على عمل وبعد سنتين من التخرج (2005)، وقد كنت في أمس الحاجة للعمل، وتم تعييني في المدرسة بعد مقابلة المديرة.

في اليوم الأول لاستلامي الوظيفة، ذهبت إلى المدرسة في الصباح، فتعرفت على المعلمات، وعندما رن جرس المدرسة اصطف التلاميذ في الساحة، وخرجت المعلمات إلى الطابور، فنظرت إلى الطلاب ولفت انتباهي تلاميذ الصف الأول الذين جاءوا إلى المدرسة لأول مرة، فكان بعضهم يضحك، وبعضهم خائف وآخرون يبكون. فتذكرت أول يوم لي في المدرسة. فقد كنت فرحة بالزي الجديد، والجديلتين اللتين ربطتهما لي أمي، وبالمصروف الذي حصلت عليه. وزادت فرحتي أكثر عندما استلمت الكتب المدرسية، وعدت بها إلى البيت، وانتهى تفكيري بهذا اليوم، عندما سمعت المديرة تعرف الطلاب على المعلمة الجديدة «المس وجدان معلمة اللغة العربية»، وتطلب من الطلاب أن يرحبوا بها.

دخل الطلاب الصفوف بعد تحية العلم والسلام الوطني، وكان أول يوم لي مجرد تعرف على الصفوف وعلى أسماء الطلاب وتسليمهم الكتب.

لقد فرحت بعملي كمعلمة للصفوف الرابع والخامس والسادس لمادة اللغة العربية كثيراً، لكني لم أكن أدرك صعوبة هذه المهنة، وبخاصة في مدرسة خاصة، وعدد الطلاب في الصفوف قليل. بدأت التعليم، وبدأت مراقبتي من قبل المديرة، أول أسبوع من التدريس، لم تحضر المديرة إلى الصفوف ولا مرة واحدة، لكن بعد مرور أسبوع أو أكثر من التدريس أصبح باب الصف يفتح فجأة مرتين أو ثلاثاً تقريباً في الأسبوع، وكان وراء هذا الباب مديرة المدرسة بحجة ما، لكني كنت أعرف أنها تأتي لمراقبة الحصة ومراقبتي، ولا أخفي شعوري عندما يفتح الباب، فكنت أشعر بالرهبة والخوف، مع أنه لدي ثقة كبيرة بنفسي . . لكن ليس بيدي. لا أدري، هل هو بسبب مركزها كمديرة أم لسبب آخر؟ وأصعب وقت؛ وقت دخولها مع دفتر صغير له سلك بالجانب ومعها قلم، لتسجيل ملاحظات وكنت أسمّيه (دفتر أبو سلك). أما بالنسبة لأسوأ شيء في مهنة التدريس بالنسبة لي فهو دفتر التحضير، الذي يجب أن نحضر الدروس فيه، كنت أقوم بالتحضير لكني أحياناً كنت أكتب في هذا الدفتر شيء وأقوم في الحصة بشيء آخر مفروض على المعلم.

كانت المديرة ذات تأثير علي، وعلى رحلتي التعليمية. فكانت دائماً موجهة لي ولا تبخل علي بأي خبرة لديها. أما بالنسبة لملاحظاتها على دفتر «أبو سلك»، فكانت تفيدني كثيراً، كانت تناقشني بأخطائي في الحصة، وتوضيح الشيء الصحيح الذي يجب أن استخدمه، ترسلنا إلى دورات، ساعدتني لإكمال تعليمي الجامعي في مرحلة الماجستير، فالسنة الأولى وحتى الثانية لي في التدريس لا اعتبرها سنوات ناجحة لي في التعليم، فكل سنة تختلف عن الأخرى. كل سنة أستفيد شيئاً وأطور نفسي، وكانت هناك معلمة (مس رايقة) لها 45 سنة في التعليم، كنت أستفيد منها كثيراً بالنسبة للتعامل مع الطلاب، وفهم احتياجاتهم، كما كانت تبث الفرح في نفسي، لأنني لم أعرف شيئاً عن تعامل المعلم مع الطالب وكيفية إدارة الحصة، فأنا لم أدرس أي مادة تربية في جامعة بيرزيت، لأنه لا يوجد مواد تربية إجبارية لنا في الجامعة، كانوا يهتمون في المادة وليس في التربية، وتحسنت كثيراً عندما أكملت تعليمي في الجامعة في مرحلة الماجستير (إدارة تربوية)، فعندما كان المدرس يشرح المحاضرة عن

تعامل المعلم والطالب وكيفية التعامل معهم، وبخاصة مادة التربية (ذوي الاحتياجات الخاصة)، شعرت أنني ظلمت طلاباً لم أكن أفهم شخصياتهم وصعوباتهم في التعليم.

أصعب سنة لي هي السنة الأولى، ليس لأنها أول سنة لي في التدريس فحسب، وإنما لوجود صف شقي جداً جداً هو الصف السادس، فكان فيه طالبان توأمان أشقى خلق الله، وبخاصة في حصص اللغة العربية، وكان أحدهما يفعل ما يريد في الحصة، ولا يسمع لي أي شيء، ويطلب من الطلاب إغلاق الكتب وعدم الرد علي، ويقوم بضرب زملائه، وتأتي المديرة ولا فائدة كل يوم والحال نفسه، وكان دائماً يحاول استفزازي عندما تأتي آيات القرآن الكريم في كتاب اللغة العربية، فكان لا يريد سماع قرآن، حتى إذا جاء اسم محمد في جملة ما قام بشطب الاسم، هذا ليس بسبب أنه يكره الإسلام، وإنما فقط لاستفزازي. وكان أحياناً ينجح ويستفزني، وعندما انتهت من تعليم هذا الصف شعرت بالراحة كثيراً.

أحب التعليم، وأريد أن أعطي كل طاقتي للطلاب، لكني حتى الآن لم أصل إلى مرحلة أرضى بها عن نفسي.

التعليم مهنة جميلة، لكني أشعر أن التعليم في المدارس الخاصة أصعب بكثير من التعليم في المدارس الحكومية، بالنسبة حتى لوقت الدوام، فهذه مشكلتي الكبرى التي عانيت وما زلت أعاني منها. فأنا المعلمة الوحيدة التي تأتي من خارج البلد، من قرية اللبن الغربية، والمدرسة في عابود ليست بعيدة تقريباً (10 دقائق بالسيارة)، كنت أذهب في الصباح مع سيارة تنقل معلمات من الدير إلى مدرسة عابود الحكومية. لكن العودة هي المشكلة، فدوامنا حتى الثانية، ودوام المعلمات حتى الواحدة، فكنت أعود إلى البيت بعد الوقوف على المفارق، أنتظر مرور سيارة، وقد تأتي بعد ساعة أو أكثر. ربما تتساءلون لماذا لم أقم بالتقديم لمديرية التربية والتعليم؟ لقد قمت بالتقديم لها منذ العام 2005 عندما تخرجت، وكنت أنجح في الامتحانات، واجتاز المقابلة، لكنهم كانوا يطلبون مني الانتظار على الدور.

وجدان أبو سالم
معلمة في مدرسة عابود الأساسية المختلطة

من اللقاء الأول لمشروع الطفولة المبكرة والثقافة العلمية الذي نظمه المركز في مقر المؤسسة في رام الله.